بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة خير الأمم، في انتفاضة أهل الحرم

الحلقة الثانية

للشيخ حمزة أسامة بن لادن (حفظه الله)



سيادة خير الأمم، في انتفاضة أهل الحرم

الحلقة الثانية:

الحمد لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنةً وظاهرةً، العزيز الذي خضعت لعزّته رقاب الجبابرة . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرجو بها النجاة في الدار الآخرة . وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإلى الأمة الإسلامية عامةً، وإلى أهلنا في بلاد الحرمين خاصةً..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بين يديكم الحلقة الثانية من حلقات "**سيادة خير الأمم، في انتفاضة أهل الحرم**"، نتناول فيها مشاهد مهمةً، من التاريخ الحديث للجزيرة العربية، وحقائق مغيبةً.. عن كثير من أبناء الأمة الإسلامية، اجتمع فيها مكر الأعداء، وخيانة العملاء، وتكفّل النظام السعوديّ بتزويرها وتغييرها، فنشأت أجيال لا تعرف تاريخ بلاد الحرمين إلا برواية آل سعود، التي كتبت تاريخ نفسها بنفسها، لترفع من تشاء، وتضع من تشاء، وتبجّل وتعظم من تشاء، وتزدري وتحتقر من تشاء.

لذلك.. نرى لزامًا علينا توضيح بعض الحقائق التاريخية المهمة، لأهلنا في الجزيرة العربية، ليعلموا حجم الظلم الذي مارسه الظالمون في بلادنا، ويتعرفوا على كثير من حقوقهم التي سلبت منهم، والتي هي اليوم من المسلمات في أنها من حقوق من يدّعي "أنّه وليّ الأمر"، لنسعى جادّين لاستردادها.

وقد قصّ القرآن الكريم علينا نبأ الأمم السابقة، وأمرنا في غير ما موضع بتدبر التّاريخ والنّظر في أخبار الماضين، لما للأهمية التي تتمتّع بها المدرسة التاريخيّة في حياة المسلم، فقال سبحانه وتعالى {**قل سيروا في الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذّبين**}[الأنعام: 11]

وقال سبحانه وتعالى: {**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبل كان أكثرهم مشركين**}[الروم: 42].

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: (فإنّ فنّ التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، و تشدّ إليه الركائب والرّحال،..." إلى أن قال: "وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق).

وقد أشرنا في الحلقة السابقة للأهمية التي تتمتع بها الجزيرة العربية، تلك الأهمية التي لم تغب عن أعدائنا كذلك، فباتت القوى العظمى التي تطمح في بسط نفوذها على العالم بأسره، تعدّ السيطرة على الجزيرة العربية مفتاح السيطرة على العالم..

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت القوة الأبرز المنافسة للدولة العثمانية حينها بريطانيا، والتي بذلت جهودًا حثيثةً للسيطرة على الجزيرة العربية، وطرد حلفاء الدولة العثمانية من مناطق سيطرتهم فيها.

وسعيًا لهذه السّيطرة.. أطاحت بريطانيا بحاكم الكويت محمد الصّباح بانقلاب عسكري، هدفت من خلاله لإحكام السيطرة الإنجليزية على الكويت وجعلها محميّةً تابعةً لها، وطرد العثمانيين منها، وهو أمر في غاية الأهمية لمستقبل الصراع مع الدولة العثمانية، ونصبت مكانه صديقها الحميم "مبارك الصباح.

فهل أتاكم نبأ الذي مهد الطريق من الكويت، لدخول النفوذ الصليبيّ البريطانيّ إلى بلاد الحرمين؟ إنّه نبأ عبد العزيز بن سعود، الذي توجّه نحو الإنجليز واتصل بالقنصلية البريطانية وسألهم تقديم العون له، وقد أثار طلبه هذا اهتمام المخابرات البريطانية بصورة شديدة، إذ أنّ نجدًا تمثل المنطقة الوحيدة البعيدة عن السيطرة البريطانية، والتي تدين بالولاء لابن الرشيد الموالي للعثمانيين.

حصل عبد العزيز على موافقة بريطانيا، و لم ينتظر كثيرًا، فخرج من الكويت في أربعين نفرًا من أتباعه، قاصدين الرياض، التي كانت خاضعةً لسيطرة الأمراء الرّشيدّيين، حلفاء

الدولة العثمانية، وكانت دائرة ملكهم تشمل وقت ذاك؛ غالبية المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية، التي تمتد من حائل في الشمال، إلى القصيم في الوسط، وصولًا إلى الرياض في الجنوب..

باغت ابن سعود وجنوده الحامية الرشيدية ليلًا، وتوجهوا نحو القصر الذي كان فيه عجلان ممثل ابن الرشيد، متخذين ظلام الليل ستارًا، والظلم والخيانة دثارًا، فأحكموا حصاره، واقتحموا بابه، وارتكبوا الجريمة، وقتلوا حليف الدولة العثمانية، واستولوا على المدينة، وكان هذا الهجوم موطئ القدم الأول لآل سعود لبسط نفوذهم في الجزيرة العربية على حساب حلفاء الدولة العثمانية، وكان ذلك في عام 1319هـ، الموافق 1902م.

والرواية السعودية تتغاضى تمامًا عن المخالفات الشرعيّة في هذه المعركة، من ظلم واعتداء على حليف الدولة العثمانية خدمةً للإنجليز، وقتل المســـلمين بغير حقّ، وإراقة الدماء المعصومة، وتذهب أبعد من ذلك فتجعل من قصر ممثل حلفاء الدولة العثمانية، التي بايعها عبد العزيز، وكان يعترف بشرعيتها، تجعل منه معلمًا تاريخيًا، ونصبًا تذكاريًا، يوشك أن يكون مقدسًا.

استمرّ عبد العزيز بن سعود في قتال حلفاء العثمانيين، فشنّ سلسلة حملات في جنوب نجد وشرقها، وسقطت عدة بلدات في يده، وتواصلت المعارك لتجعل من القصيم ساحةً لمعارك حامية الوطيس بين الطرفين..

ومع كلّ هذه الاعتداءات المتكررة من ابن سعود على حلفاء الدولة العثمانية إلا أنّ الدولة العثمانية الأم لم تزل متمسكةً بروابطها مع ابن سعود، سعيًا منها إلى حلّ الخلاف بين الطرفين وإنهاء الاقتتال.

وقامت بعدة محاولات في ذلك:

فبعدما استولى ابن سعود على القصيم، أقرته القيادة العثمانيّة حاكمًا عليها وعلى جنوب نجد، وعيّنته في البداية "قائمقام" القصيم، ثم رقّته ليصبح والي نجد من قبل الدولة العثمانية.

وفي جمادى الثانية من 1331هـ الموافق لأيار/ مايو 1913م، وقّع ابن سعود المعاهدة العثمانية السعودية، التي بموجبها أكد العثمانيون أن عبد العزيز باشا حاكم نجد بفرمان عثماني.

كانت الدولة العثمانية تراقب ما يجري على الأرض، وتتعجب من استمرار خيانات ابن سعود بعد اتفاقه معها، وارتمائه في أحضان الإنجليز، واستمراره في قتال حلفائها، فقامت بإرسال مدد من الرجال والعتاد لحليفها ابن الرشيد، بينما ضمن ابن سعود تحالفًا مع الكويتيين، وتأييد البريطانيين الذين اعتبروا دعم العثمانيين لابن الرشيد تهديدًا لمصالحهم في الكويت.

ومع دنوّ الحرب العالمية الأولى، أخذت القوى العظمى في الاستعداد لها، فسعى المسؤولون العثمانيون لعقد صلح بين الطرفين، والحصول على تعهد بتعاونهما العسكريّ.

استجاب ابن سعود لنداءات الدولة العثمانية، ووافق على التصالح معها، وعقدت الاتفاقية العثمانية السعودية في جمادى الثانية 1332ه الموافق لأيار مايو 1914م، ونصت على بقاء نجد ضمن أراضي ابن سعود وأيلولتها إلى أبنائه وأحفاده، بفرمان عثماني، كما منعت الاتفاقية ابن سعود من إقامة علاقات تعاقدية مع قوىً أجنبية، أو منح امتيازات إلى أجانب في أراضيه.

===

فابن سعود إذًا.. "قائم القمام" عبد العزيز باشا، كان مواليًا للعثمانيين، وكان العثمانيون يعتبرونه موظفًا عثمانيًا تابعًا لهم.

فهل استمرّ الحال على ذلك؟

في المقابل..- أي في مقابل التحرك العثمانيّ المذكور- بدأت بريطانيا تبحث عن حلفاء محليين في نجد أيضًا كان دعمهم يعتبر ضروريًا لبريطانيا لإنهاء السلطة العثمانية في المنطقة،

فلم تجد حليفًا عميلًا وفيًا لها إلا ابن سعود، و لم يمرّ العام حتى نقض ابن سعود اتفاقياته التي عقدها مع الدولة العثمانية، التي بايعها وتعاقد معها، فخان الدولة العثمانية، وخان الأمة، وأرضى الإنجليز، وتعاهد معهم في بداية الحرب العالمية الأولى، وهو يعلم أنّ هذا التعاهد المقصود به محاربة الدولة العثمانية، وتمكين الإنجليز وحلفائهم من احتلال ديار المسلمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وعلى إثر ذلك قدّمت بريطانيا أنواع الدعم لعبد العزيز بن سعود مباركةً له على خيانته، وتمثّل دعمها له: في الدعم الماليّ، والدعم العسكريّ، ومواجهة المعارضة، والتوجيه والتنظيم، وإفادته بالتجارب والخبراء.

ومن الخبراء البارزين الذين لعبوا دوراً بارزاً في توجيه ابن سعود؛ الكابتن شكسبير الذي كان يساعد عبد العزيز ويوجّهه وينصره ويدير أموره، وكانت قيادة شكسبير لقوات عبد العزيز وتنظيم صفوفها دليلًا واضحًا على الدعم الانجليزيّ والعسكريّ والسياسيّ لابن سعود.

وفي ربيع الأول من عام 1333ه الموافق 25 من يناير من عام 1915م دارت معركة بين ابن سعود وابن الرشيد، وكان الكابتن البريطاني اليهودي الأصل شكسبير قائداً لقوات عبد العزيز ومن معه من الإخوان. وفي هذه المعركة تمكن حلفاء العثمانيين، من شكسبير فقتلوه برصاصهم، وقطعوه بسيوفهم، كما قتلوا سكرتيره أيضًا.

فكتب عبد العزيز للمندوب البريطانيّ في الخليج متأ سفًا ل صاحب جلالته في بريطانيا على مقتل شكسبير.

====

أيّها الأحبة: إن النظام الـ سعوديّ يبذل قـ صارى جهده لإخفاء هذه الحقائق التاريخية عن أهلنا في بلاد الحرمين، لأنه يعلم أنّها ستفقده شرعيته، وأنّ أهلنا الكرام لا ينامون على الـضيم ولا يقبلون لحلفاء الـصليبيين أن يحكموهم، لذلك.. يقوم بإخفائها وتزويرها بـشتى الوسائل، ويلقّن النا شئة منذ نعومة أظفارهم في مناهج التعليم صورةً مثلى عن آل سعود،

ولا يذكر لهم من هذه الحقائق إلا القليل، وإذا ذكره يكون خاليًا من التوصيف الشرعيّ، وهدفها الحقيقيّ، فلا يقال عندها إنها استعانة بالكافرين على المسلمين، ولا يقال إنّه نقض لبيعة عبد العزيز للدولة العثمانية، ولا أنّ ابن سعود من الفئة الضالة التي خرجت على من بايعته بإمامة المسلمين، ووالت أعداء الدين، ولا يذكر السبب الشرعيّ المعتبر الذي يبيح هذه المعارك فضلًا عن أن يوجبها؛كما أنّ الرواية الرسمية تقوم بتصوير ظهور الدولة السعودية على أنها عملية محلية من دون وضعها في سياق دولي أوسع؛ وهو الحرب العالمية الأولى، التي وقف فيها عبد العزيز مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية، والتي كان من نتائجها المباشرة استيلاء الإنجليز على فلسطين، وهي الخطوة الممهدة لقيام دولة إسرائيل.

تلك الحرب التي كان الحقد الصليبي والنزعة الصهيونية فيها واضحين بجلاء، ولذلك حرص اللورد اللنبي قائد حملة مصر في شهر صفر من عام 1336هـ الموافق 10 من ديسمبر من عام 1917م، حرص على أن يدخل القدس في استعراض عسكري، ما شيًا تعظيمًا للقدس، وهناك قال كلمته الشهيرة: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وكذلك حرص على حضور هذا الاحتفال جاسوس بريطانيا لدى الشريف حسين؛ لورانس العرب.

====

وهكذا يقصّ لنا التاريخ أنّ ابن سعود؛ عبد العزيز باشا، والى الصليبيين ومهد الطريق لهم لدخول بلاد الحرمين، واستعان بهم على قتال المسلمين، وسمح لهم بالمشاركة في صفوفه، وفي مقابل ذلك: عادى العثمانيين وقاتلهم، واعتدى على حرماتهم، وسفك دماءهم المعصومة، ونقض بيعاته واتفاقاته التي عقدها مع الدولة العثمانية، ليبرمها ويعقدها مع الإنجليز.

ولكن.. هل اكتفى ابن سعود بهذا؟

لم يكتف عبد العزيز بن سعود بهذه الخيانات السابقة، وبهذه الأعمال المشينة، ومضى مصمّمًا على توثيقها في دفاتر الإنجليز....

وهذا ما سنتناوله في الحلقة القادمة إن شاء الله..

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر ر شد يعزّ فيه أهل طاعتك، ويذلّ فيه أهل مع صيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.